المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــدد 17S حزيران 2025
No.17S JUNE 2025

التطور التاريخي للفكر المسيحي في العصر الوسيط

م.م. عباس فاضل عيسى
Abbas Fadhil Issa
كلية المأمون الجامعة
abbasmalak1963@gmail.com

المستخلص:
يهدف البحث الحالي الى استعراض الدور التاريخي لرجال الكنيسة الذين اثروا في الفكر الديني في العصور الوسطى للديانة المسيحية. فضلا عن ذلك يهدف ايضا الى إبراز كيف تطور الفكر المسيحي في العصر الوسيط بوصفه نتيجة تفاعل مستمر بين الدين، والفلسفة، والسياسة، والثقافة السائدة، مما مهد الطريق للتحولات الكبرى في العصر الحديث، إذ تناول البحث التطور التاريخي للفكر المسيحي في العصر الوسيط، وهو العصر الذي امتد تقريبًا من القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر الميلادي، والذي شهد تحولات عميقة في الفكر الديني والفلسفي في أوروبا. ويسلط البحث الضوء على المراحل الرئيسية التي مر بها الفكر المسيحي، كما يستعرض دور شخصيات محورية في تشكيل المفاهيم اللاهوتية والفلسفية التي أسهمت في بناء البنية الفكرية المسيحية، ويركز أيضًا على العلاقة الجدلية بين الإيمان والعقل، ومحاولة التوفيق بين النصوص الدينية والعقل الفلسفي، بالإضافة إلى تأثير الأحداث الكبرى كالحروب والانقسامات الكنسية، والإصلاحات الدينية المبكرة.
كلمات مفتاحية : الفكر المسيحي في العصر الوسيط

The Historical Development of Christian Thought in the Middle Ages

Assistant Professor Abbas Fadhil Issa
Al-Ma'mun University College
abbasmalak1963@gmail.com

Abstract
This research intends to review the historical role of ecclesiastical figures who shaped religious thought within Christianity during the Middle Ages. It also seeks to highlight how medieval Christian thought changed because of the continuous interactions among religion, philosophy, politics, and prevailing culture, which paved the way for major changes in the modern era. Therefore, this research examines the way in which Christian thought developed over the medieval period-from roughly the fifth into the fifteenth century AD. In its geographical scope, it proved to be an era in which Europe was undergoing significant changes in the fields of religion and philosophy. In its principal highlights, it offers an overview of the key phases that Christian intellectual went through, and the role of key figures responsible for formulating the theological and philosophical concepts contributing to building up of the Christian intellectual structure. Another focus of the research is on dialectical relation between faith and reason, attempts at reconciling religious texts with philosophical reasoning, and impact of major events such as wars, ecclesiastical schisms, and early religious reforms.
Keywords: Christian Thought in the Middle Ages

المقدمة

يمكن فهم التطور التاريخي للفكر المسيحي خلال العصور الوسطى من خلال تتبع التحولات الثقافية والفكرية التي شهدتها هذه الفترة. فقد امتدت العصور الوسطى نحو عشرة قرون، من حوالي عام 500 إلى عام 1500 ميلادي، وشهدت خلالها أوروبا تطورات كبيرة في الفكر المسيحي. كانت هذه الحقبة مرحلة لإعادة النظر في المنظومة الدينية المسيحية، ومحاولة التوفيق بين العقل والإيمان، حيث سعى الفلاسفة إلى تفسير النصوص الدينية المسيحية باستخدام أدوات العقل والمنطق.

ومع تقدم العصور الوسطى، رافق النمو الديموغرافي والحضاري توسعًا في الحياة الفكرية، مما أدى إلى ظهور "الوثيقة الوطنية" التي وضعت أسس تنظيم المؤسسات العلمانية والكنسية. كما تميزت هذه الفترة بظهور الجامعات، التي كان أساتذتها في الغالب من رجال الدين، وأسهموا في تعزيز النشاط العلمي والفلسفي.

استمرت هذه الحقبة ما يقارب عشرة قرون، ومهدت الطريق نحو تطور الفكر الفلسفي العلمي مع نهاية العصور الوسطى، إيذانًا ببداية النهضة الفكرية والاقتصادية، والتي أصبحت تعرف لاحقًا بعصر النهضة.

مشكلة البحث

رغم الأهمية البالغة للعصور الوسطى بوصفها مرحلة تأسيسية في تطور الفكر المسيحي، إلا أن هناك تباينًا واسعًا في تفسير كيفية تطور هذا الفكر وأبعاده المختلفة، خاصة في ظل التغيرات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي شهدتها أوروبا آنذاك. فقد واجه الفكر المسيحي تحديات متعددة، تمثلت في محاولات التوفيق بين العقل والإيمان، وتأثير الفلسفة الكلاسيكية، وتحولات البنى الاجتماعية والدينية. من هنا تبرز مشكلة البحث في التساؤل حول طبيعة التحولات التي طرأت على الفكر المسيحي خلال العصر الوسيط، والعوامل التي أسهمت في صياغته، وكيف مهدت هذه التحولات الطريق لظهور الفكر الفلسفي والعلمي الحديث في نهاية العصور الوسطى.

اهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى استعراض وتحليل الدور التاريخي الذي قام به رجال الكنيسة في تشكيل وتطوير الفكر الديني المسيحي خلال العصور الوسطى، وتسليط الضوء على إسهاماتهم الفكرية في التوفيق بين الإيمان والعقل، وأثرهم في بناء الأسس التي مهدت للنهضة الفكرية اللاحقة.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول مرحلة حاسمة في التاريخ الفكري والديني لأوروبا، وهي العصور الوسطى، التي شكلت الأساس لكثير من المفاهيم الفلسفية والعلمية اللاحقة.

تاريخ نشأة للفكر المسيحي الغربي في العصر الوسيط

اولاً: النشأة التاريخية

إن دراسة الفكر المسيحي في حقبة العصر الوسيط يدفع الباحثَ إلى مراجعة الموضوع ضمن سياقه التاريخي؛ مع أن التأريخ، هنا لا يُنظر إليه من زاوية تسلسل الإحداث، أو بمعنى آخر، لا يُنظر إليه بمنهج المتتّبع التاريخي الذي يراجع الأحداث وتطوراتها، وإنما يُنظرُ إليه بعين الراصد لتطور الأفكار عِبر التاريخ. وعليه يكون الرصد التاريخي لنشأة الفكر الديني المسيحي في العصر الوسيط رصداً لتراتبية الأفكار التي نشأ في كنَفِها هذا الفكر. وعلى ذلك يكون المسلك الإجرائي للبحث، ها هنا، متسقاً مع التغيّر الفكري أكثر منه اتساقا مع تغير الاحداث تاريخياً؛ مع أن هذا الأمر لا يعني مرتكز لعامل التراتبيةِ الحدثية للتاريخ جانباً؛ إذ أن تطور الأفكار غالباً ما يكون ملازماً لتطور الأحداث: فإما أن تحدث الأحداث نتيجة لثورة في الأفكار، أو أن الأفكار تُبنى نتيجة لأحداث جرت.

وبحكم سيطرة المؤسسة الدينية المسيحية على رئاسة الثقافةِ في الدول الغربية في العصر الوسيط (1)؛ فقد بدا عنصر الدين المسيحي هو العنصر الأكثر وضوحاً، في هذا السياق، وما ترتب عليه-عنصر الإيمان المسيحي- من جملة عناصر لاهوتية، طرأت على الفكر الغرب بشكا عام في العصر الوسيط، ومن ثَمّ شكلت حجرَ الزاوية التي تغير عندها مسار الفكر المجتمعي الغربي عن سابقه.

وعلى الرغم من ولادة السيد المسيحي في الشرق؛ غير أن انتشار الديانة سيطرت على العالم الغربي فب اوربا اذ تطلب من الكهنوتية المسيحية في تلك الحقبة العمل على اتجاهين: الأول مهمة نشر عقائدهم في البيئة الاجتماعية الوثنية السائدة؛ والثاني العمل على إيجاد نصوص فلسفية دينية تتماشى مع تطلعاتهم الفكرية، الأمر الذي جعلهم يصوغون مُركّباً دينياً- فلسفياً داخل عقائدهم، يمكنهم من خلاله تسويق الافكار والعقائد في أطارهاٍ الفلسفي لمحاكاة المجتمع الذي نشأة فيها ونتشرت (2). وهكذا فقد تبنى المسيحيون القدامى فكرة تجسد المسيح في اللحظة التاريخية التي شهدت تقاطع ما بين الفلسفة اليونانية والديانة اليهودية والإمبراطورية الرومانية لم يكن لحضه صدفةً (3). اذ يبدو هذا الاعتقاد بذاك التقاطع ما بين الدين والحضارة والفلسفة قد امتدَّ إلى جذور العقيدة المسيحية، حتى جعلها بشكل، يمكن القول: إن هذه صورة لاهوتية عكست ترجمة هذا التقاطع.

أن الديانة المسيحية، كانت في بداية الأمر، طرحت نفسَها وقدّمتها بانها ((عقيدة دينية سماوية، تمتلك رؤية خاصة لحياة الإنسان، ومسلكه الذاتي المُميز للتعامل معه)) (4). وعلى ذلك فقد كان توجه تلك، المرحلة التكوينية الأولى، توجهاً لاهوتياً يرمي إلى ترصين العقيدة، في بيئةٍ شهدت آنذاك، حالة اضطراب سياسي واجتماعي واقتصادي، فضلاً عن الصراع الداخلي ما بين الشعب والإمبراطورية الرومانية وطبقاتها وفئاتها المتنافسة والمتصارعة (5).

إذ كانت المسيحية، في مرحلِتها الأولى، عقيدةً دينية سماوية تقفُ بمعزل عن الشأن السياسي غير مكترثةٍ إلا بعالم الخلاص الروحي، وهو، على ما يبدو، استلهامٌ مباشرٌ لقول السيد المسيح: ((36 مَملكَتي ليست مِنْ هذا العالَمِ)) (6).

وهكذا يمكن القول، إن أولى الأسبابَ التي اطرت الفكر المسيحي، في مرحله التكوين الأولى، تعود إلى أسباب دينية تمكثُ في صلب عقيدة الخلاص المسيحي، ومن ثم امتدت هذه العقيدة في الفكر المسيحي، في مراحلهِ المتطورة، لتشكّل، فيما بعد، نسيج الفكر السياسي والاجتماعي الديني الغربي في العصر الوسيط، حتى بدأة، هذا الفكرة، مرتبطاً بالفردوس في السماء، أو عاكساً لها على الأرض.

أما الأسباب الأخرى فقد بدت مُشتقّةً من السبب الأول(الديني)، ذلك من حيث أن وقوف العقل المسيحي، في المرحلة الأولى، بعيداً عن التدخل في الامور السياسية، وتتناسب النظرة المسيحية المبكرة إلى القضايا السياسية بوصفها أموراً لا تهمُّ الدين في شيء ولا صلة لها بالإيمان، ويتناسب، من ناحية ثانية، ووثنية الحاكم السياسي الروماني (7)والتي تُبعد، بدورها، المسيحيين الأوائل من الاشتغال بعلم السياسة بشكل مباشر.

غير أن ما أعلنه السيد المسيح في تعاليمه لم يكن مجردَ افكار أخلاقية واجتماعية فحسب؛ وإنما ((كان لتعاليمه... طابعاً سياسياً من أبسط الأنواع. وحقاً إن مملكته ليست من هذا العالم

1 - أنظر: تارناس، ريتشارد: آلام العقل الغربي، ترجمة: فاضل جتكر، العبيكان وكلمة، أبو ظبي، 2010، ص129.
2 - أنظر: تارناس، ريتشارد: آلام العقل الغربي، المصدر السابق، ص135-136.
3 - أنظر: المصدر نفسه، ص136.
4 - علي عباس مراد وعامر حسن فياض: مدخل إلى الفكر السياسي القديم والوسيط، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2004، ص350.
5 - أنظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
6 - الكتاب المقدس: إنجيل يوحنا (18: 36).
7 - علي عباس مراد وعامر حسن فياض المصدر السابق، ص354، 358.

ولكنها موجودة في قلوب الخلق، وليست فوق عرش، ولكن... حيثما أقيمت.. وأياً كان المدى الذي تقوم به في قلوب الخلق، فإن العالم الخارجي يتجدّد ويحدث له انقلاب ثوري بنفس ذلك المدى بالضبط)) (8). ولعلّ ذلك هو ما حدا بآباء الكنيسة وكبار أعلامها الأوائل ليؤسّسوا، نظرياً، لأفكار سياسية واضحة ومحددة، من وجهة نظر يفترض أنها تعبر عن العقيدة المسيحية (9). ويبدو أنه، ومن ناحية أخرى، قد تطور، بالنسبة إليهم، حتى أصبح ضرورة فكرية، ذلك ((بعد أن اعتنقت الدولة الرومانية العقيدة المسيحية، واعترفت بالكنيسة ومسؤوليتها عن شؤون هذه العقيدة، وهو ما فرض على آباء الكنيسة ومفكريها، صياغة مقولة جديدة، تعترفُ بالوجود المستقلّ للمؤسستين الدينية (الكنيسة)، والدنيوية السياسية (الدولة)، وتُعلن تكاملَهما وجودياً ووظيفياً، ومسؤوليتهما المشتركة عن تأدية رسالة الإرادة الإلهية، التي مدارها إنقاذ الإنسانية، فردياً واجتماعياً، وخلاصها في الدنيا عن طريق الدولة، وفي الآخرة عن طريق الكنيسة))(10). مما يعني، ضمناً، إمكان البحث في الشأن السياسي بأدوات لاهوتية.

وتأسيساً على ذلك يكون الفكر الديني الغربي في العصر الوسيط هو: تأملاً عقلياً في الظاهرة الاجتماعية من وجهة نظر لاهوتية؛ ومن جهة ثانية، يكون الفكر السياسي الديني لآباء الكنيسة فكراً سياسياً تأسيسياً يمكن أن يزود الفكر الغربي بالمادة الأولية التي تُعتمد عليها الافكار في الفكر السياسي الغربي.

وبإيجاز، إن المسيح(يسوع) قد دعا الناس لنكران الذات والميلاد الجديد في ملكوت المحبة، ملكوت السماء، حتى تركهم وفيهم روحٌ ورجاءٌ يدفعانهم نحو الفردوس. كانت تعاليم يسوع مبدءً لعقيدة خلاصيه أخروية في عالم الروح؛ غير أن ذلك لم يمنع آباء الكنيسة من أن يؤسسوا، نظرياً، لأفكارٍ سياسية واجتماعية ضمن الإطار الديني؛ فتعاليم يسوع قد أوجدت في النفوس مبدأً مُحفزاً ونمطاً للعيش يحدوان بالآباء للتأسيس لأفكارٍ سياسية لا تخرجُ في مضمونها وصياغاتها عن الأطر اللاهوتية للعقيدة المسيحية.

ثانياً- دور رجال الدين الاوائل في نشأة الفكر المسيحي

ثمة معلم آخر، القديس بولس الرسول (*)- يرى البعض أنه المؤسس الحقيقي للعقائد المسيحية [11]. ((لم يرَ بولس يسوع قط...[بيد] أنه أدرك الشيء الكثير عن روح يسوع ومبدئه الخاص بالميلاد الجديد... [حتى] أدخل هذه الفكرة في صَرح نظام لاهوتي يتسم بشديد البراعة والخفاء)) [12]. وقد شكلت طروحاته قاعدةً تأسس عليها قانون الإيمان المسيحي الذي حفظه ودافع عنه آباء الكنيسة. و ((آباء الكنيسة هم معلمو الإيمان والعقيدة والحياة الروحية في القرون الخمسة الأولى سواء كانوا أساقفةً أم من غير الأساقفة أو حتى من المؤمنين العاديين الذين ساهموا في تحديد مضمون وصياغة وشرح مضمون الإيمان حتى استقر في الإطار الذي اجتمعت عليه الكنيسة في مجامعها المسكونية حتى مجمعها المسكوني الثالث المنعقد في أفسس

8 - ولز، ه.ج: معالم تاريخ الإنسانية- المجلد الثالث- في الاسلام والمسيحية العصور الوسطى وعصر النهضة، توفيق عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، القاهرة، 1963، ج3، ص20.

9 - علي عباس مراد وعامر حسن فياض: مدخل إلى الفكر السياسي القديم والوسيط، المصدر السابق، ص354.

10 - المصدر نفسه، ص358-359.

*- بولس: وهو بولس الرسول ويعرف ايضاً ببولس الطرسوسي، ثاني أهم شخصية في تأريخ المسيحية بعد المسيح نفسه. ولد في مدينة طرسوس في كيليكية (تركيا اليوم)، في الربع الأول من القرن الأول لميلاد المسيح، اذ كان يسمى عند الولادة (شاول)، وتربة في كنف عائلة يهودية. كما أنه كان مواطناً رومانياً، حيث كان اهتمامه منذ الصغر بدراسة الشريعة حيث رحل إلى أورشليم ليتعلم هناك. وحين ذهابه إلى دمشق، لأجل أن يعتقل الرجال والنساء الذين يجدهم على مذهب الرب(يسوع)، حصلت رؤيا لشاول غيرت له حياته؛ إذ قال إنه قد رأى (الرب يسوع) وبعد أن حصل حوار بينه وبين المسيح اقتنع شاول على إثره بأن يسوع الناصري هو المسيح. ـ أنظر: الكتاب المقدس، أعمال الرسل، (22: 3-16، 26: 12- 18).

11 - أنظر: معالم تاريخ، الإنسانية- المجلد الثالث- في المسيحية والإسلام. والعصور الوسطى وعصر النهضة، المصدر السابق، ص26.

12 - المصدر نفسه، ص27.

سنة (431م). والمقصود بالإيمان ليس هو العقيدة فقط ولكن التقليد الذي استلمته الكنيسة من الرسل: الإيمان بالمسيح ابن الله وكل العقائد المتصلة به وبالخلاص الذي تممه [أتمه] بالصليب والقيامة)) [13].

وأما تصنيف الآباء فهو قد خضع إلى معيارين(المعيار اللغوي، والمعيار التاريخي): المعيار اللغوي، ويكون على أساس اللغة التي كتب بها الآباء، ويضم: الآباء اللاتينيين، والآباء اليونانيين؛ أما المعيار التاريخي فيكون بحسب الترتيب التاريخي، وهنا نجد ثلاثة عصور: العصر الأول وهو عصر بداية الكتابات الآبائية، ويسمى أيضاً عصر ما قبل نيقية، ويشمل كتابات القرون الميلادية الثلاثة الأولى، أي من سنة(100م) إلى (300م)؛ وأما العصر الثاني فيُعرف بالعصر الذهبي للكتابات الآبائية أو عصر ما بعد نيقية، ويمتد من عام(300م) إلى عام (440م)؛ وأما العصر الثالث فهو ما يُعرف بالعصر المتأخر، ويمتد من (440م) إلى عام (600م) والبعض يذهب به إلى نهايات القرن التاسع ميلادياً[14].

فمن حيث المعيار اللغوي فقد كانت اللغة اليونانية، حتى القرن الثاني للميلاد، هي اللغة الأصلية لكتابات الآباء، وإن كان في الشرق قد حل محلها جزئياً اللغات المحلية، أما في الغرب فقد دخلت اللغة اللاتينية تدريجياً إلى كتابات الآباء [15].

وأما فيما يتعلق بالمعيار التاريخي فيمكن تناوله على النحو الآتي:

أ- العصر الأول (عصر بداية الكتابات الآبائية أو عصر ما قبل نيقية): وقد ضم هذا العصر حقبتين: الأولى وتعرف باسم عصر الآباء الرسوليين، والثانية تعرف بعصر الآباء المدافعين. فأما الآباء الرسوليون فهم الآباء الذين عاصروا الرسل وحملوا قانون الرسل الذي يعني (علامة التعارف): ((علامة لوديعة الإيمان...التي تسلمها الرسل من المسيح وسلموها بدورهم إلى خلفائهم ومنهم إلى سائر المسيحيين، وبها يتعارفون)) [16]. ويبدو أن هذه الحقبة هي الحقبة التي حمل فيها الآباء على عاتقهم مهمة إيصال العقيدة المسيحية إلى البيئة الوثنية المحيطة، هذا فضلاً عن ترصين البعد الروحي للعقيدة المسيحية وحمل مبادئ قانون الإيمان المسيحي.

في حين كانت الحقبة الثانية (عصر الآباء المدافعين) هي الحقبة التي حملت سمةَ الدفاع عن العقيدة أمام التحديات التي اصطدمت بها المسيحية في بيئتها اليهودية والوثنية، مما يعني إن آباء هذه الحقبة هم ((الذين خصصوا كتاباتِهم كلَّها أو معظمها للدفاع عن المسيحية)) [17]، في وجه اليهودية والوثنية.

وللكتابات المدافعة عن المسيحية بوجه اليهودية هدفان: أولهما ((تحديد الفوارق بين المسيحية وجذورها اليهودية. فركز الكُتاب خصوصاً على الاعتراف بيسوع مسيحاً، وعلى تفسير العهد القديم بأنه تهيئة لمجيء المسيح وتبشير به... والهدف الثاني هو هداية اليهود إلى المسيحية وإقناعهم بالإيمان بيسوع المسيح اعتمادا على معطيات العهد القديم نفسه)) [18]. ويبدو أن ذلك ما قد وظفه، لاحقاً، القديس أوغسطين-سيتم الإشارة إلى ذلك والتوسع به في الفصل الثالث (المبحث الثاني) - من حيث أنه أراد أن يبين على أن الوعد الإلهي في العهد القديم كان إشارةً لقدوم المسيح يسوع، وأن كلَّ ما في العهد القديم من روايات الأحداث كان رمزاً لمدينة الله وسكانها الذين حلت فيهم الروح القدس بفضل النعمة الإلهية بتجسد المسيح يسوع وصلبه وقيامته.

---

13 - فلتس، جوزيف موريس وجورج عوض: مدخل إلى علم الآباء-باترولوجيا، دار الجيل للطباعة، القاهرة، 2001، ص7-8.

14 - أنظر: المصدر نفسه، ص16.

15 - فلتس، جوزيف موريس وجورج عوض: مدخل إلى علم الآباء-باترولوجيا، المصدر السابق، ص15.

16 - كيرلس بسترس، سليم وآخرون: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المكتبة البولسية منشورات، بيروت، 2001، ص14.

17 - المصدر نفسه، ص213.

18 - كيرلس بسترس، سليم وآخرون: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المصدر السابق، ص213.

من ناحيةٍ ثانية، فقد كان الدفاع عن المسيحية بوجه الوثنية حاملاً لوجهٍ آخر، وجه تميّزَ بالدفاع عن المسيحية أمام الاضطهادات التي كانت تعصفُ بها بين الحين والآخر والتي مَردُّها الوشايات والاتهامات الباطلة وسوء الفهم؛ لذا كانت دفاعاتهم هادفة إلى إزالة سوء الفهم، وتصحيح الصورة الخاطئة التي رسخت في ذهن الشعب عن المسيحيين، وسببت لهم الاضطهاد[19].

وقد حملت تلك الاضطهادات، في الغالب، سِمةَ الاضطهاد السياسي-الرسمي(السلطوي). فالمسيحية، بما حملته من عقيدة خلاصيه روحية ترمي إلى نكران الذات والدعوة إلى ملكوت السماء، وما ترتّب على ذلك من تحدٍّ لربوبية قيصر والنظم التي تتميز بها الإمبراطورية، لابد لها وأن تعد حركة عصيان للدولة وتفكيك لعراها[20]. ولعل (داكيوس) الذي حكم روما ما بين (249-251م) كان أول إمبراطور أنزل اضطهاداً رسمياً بالمسيحية؛ إذ أصدر مرسوماً عام(250/251م) يقضي بأن يقدم جميع سكان روما الأضحية الدينية للآلهة الرومانية ومن يرفض ذلك يواجهُ الموت[21]. في حين ((أقدم الإمبراطور (دقلديانوس)[*] بين عامي(303-304م) على إصدار أربعة مراسيم، كانت في جملتها تُعد ضربة موجعة في حينها إلى الكنيسة المسيحية، وتقضي بهدم الكنائس وإحراق الكتب المقدسة، وإيداع رجال الاكليريوس السجون، وعدم إطلاق سراحهم إلا بعد أن يقربوا للأرباب القرابين))[22]. وهكذا فقد توزعت اضطهادات السلطات الحاكمة، آنذاك، للمسيحيين ما بين الاضطهادات الجسدية: من إعدام وحرق...وما إلى ذلك، وما بين الاضطهادات القانونية التي قضت بحرمان المسيحيين من الحماية القانونية وحق المقاضاة، كما أن أملاك الكنيسة لم تنجُ هي الأخرى من تلك الاضطهادات؛ فقد صُودرت تلك الأملاك وبِيعتْ للطامعين بها أو وهبت إلى المدن والهيئات[23].

وعلى الرغم من كل ذلك كان المسيحيون يشكلون عنصراً ضخماً يتزايد بشكلٍ مطّرد بين سكان الإمبراطورية، وعلى ما يبدو أن هذا الأمر هو الذي حدا بقيصر دقلديانوس (جاليريوس)[*](حكم 304-311م)، الذي كان من أشد أنصار الاضطهاد في بداية حكمه[**]، إلى التسامح مع هذا المجتمع الضخم في آخر حياته؛ إذ قد أصدر مرسوماً سمح فيه للمسيحيين ((بأن يعبروا بحرية عن آرائهم الخاصة وأن يجتمعوا في اجتماعاتهم الدينية دون خوفٍ أو مضايقة، على شريطة هي أن يحافظوا على الاحترام اللائق للقوانين والحكومة القائمة))[24].

ولعل هذا المرسوم قد مهّد إلى انقشاع غمّة الاضطهاد عن المسيحيين؛ فما إن جاء عهد الإمبراطورين الرومانيين: ليكينيوس(حكم 313-323م) و قسطنطين(حكم323م-337م)، حتى

---

19 - أنظر: ص214-215.

20 - أنظر: ولز، ه.ج: معالم تاريخ الإنسانية- المجلد الثالث- في المسيحية والإسلام والعصور الوسطى وعصر النهضة، المصدر السابق، ص32.

21 - أنظر: بسترس، كيرلس سليم وآخرون: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المصدر السابق، ص214.

* - دقلديانوس (244-305م) وحكم ما بين عامي(284-305م).

22 - عبد الحميد، رأفت: بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1997، ص11.

23 - أنظر: ولز، ه.ج، معالم تاريخ. الإنسانية- المجلد الثالث- في المسيحية والإسلام. والعصور الوسطى وعصر النهضة، المصدر السابق، ص32.

* - يحمل الإمبراطور لقب (أغسطس) ويستعين كل (أغسطس) بزميل يُمنح لقب (قيصر) يشاركه في الحكم ويخلفه في حكمه.

** - عرفت السنوات من(303-313م) (الفترة القائمة من إصدار مراسيم دقلديانوس حتى نهاية حكم جاليريوس وقيصره ماكسمين دايا) بعصر ((الاضطهاد العظم)) و ((عصر الشهداء)).

–أنظر: عبد الحميد، رأفت: بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، المصدر السابق، ص12.

24 - ولز، ه.ج: معالم تاريخ الإنسانية- المجلد الثالث- في المسيحية والإسلام والعصور الوسطى وعصر النهضة، المصدر السابق، ص33-34.

بدأ عصر الاضطهاد ينتهي؛ ففي عام (313 م) أصدر قسطنطين(*) (مرسوم ميلانو) الذي أعلن فيه حياد الإمبراطورية الرومانية فيما يتعلق بشؤون العبادات، مما أفضى بالنتيجة إلى إزالة العقبات أمام الممارساتِ الدينية للمسيحية والديانات الأخرى، وألغى بموجبهِ جميعَ العقوبات المفروضة على المسيحيين، وجعل المسيحية إحدى الديانات الرسمية في الإمبراطورية الرومانية، وعفا رجالَ الدين المسيحيين من الضرائب، كما قام بإعادةِ أملاك الكنيسة المصادرة[25]؛ حتى دشّن ذلك المرسوم سياسياً في عهد الإمبراطور ثيودسيوس (378-395م) حين أصبحت المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية[26].

ويبدو ان مرسوم ميلانو قد جاء ترجمةً لما في عقل قسطنطين السياسي؛ فقد أدرك ما في المسيحية من قوةٍ موحدة ومنظمة داخل مجالها ومجتمعاتها، وبذلك كانت مصدر الأمل الوحيد للتماسك الخلقي الذي عوّل عليه قسطنطين في زمن الصراعات الداخلية التي كانت تعصف بالإمبراطورية الرومانية وقتئذ [27].

ولعل القراءات المعاصرة لمرسوم ميلانو تشير إلى ما هو قريب من ذلك، إلا أنها قد بدت بتحليلها رامية إلى إظهار المرسوم بصورة أكثر ليبرالية؛ إذ ذهب بعضُ الباحثين المعاصرين إلى بيان أن مرسوم ميلانو قد حمل بُعدين سياسيين، هما: الحرية الدينية؛ وعلمانية الدولة، واللذان أصبحا اليوم مظهرين أساسيين في التنظيم السليم للمجتمع السياسي [28].

ب- العصر الثاني (العصر الذهبي للكتابات الآبائية أو عصر ما بعد نيقية): لقد عُد مرسوم ميلانو، بالنسبة للديانة المسيحية، بمثابة بداية الحرية؛ غير أن المشاكل الكنسية المتعلقة بالعقيدة قد امتدت إلى ما بعد المرسوم، مما دفع قسطنطين مُجدداً لحماية العقيدة المسيحية؛ فدعا إلى انعقاد أول مجمع مسكوني في نيقية عام(325م) الذي تم فيه تحديد قانون الإيمان المسيحي في قسمه الأول، ومن ثم وضع قسمه الثاني في المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية سنة(381م) [29]. وقد تضمن قانون الإيمان: الإيمان بالثالوث (الأب، والأبن، والروح القدس) وتساوي الأقانيم [*] بالجوهر، والإيمان بتجسد المسيح (يسوع)، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة، والإيمان بالنعمة الإلهية في الخلاص بتجسد المسيح وافتدائه [30].

الفكر السياسي الديني في العصر الوسيط

---

* - حكم في بداية الأمر بالاشتراك مع ليكينيوس حتى عام(323م) ثم أصبح بعدها إمبراطوراً يحكم منفرداً.

25 - أنظر: Frend, William H.C: The Early Church, Hodder and Stoughton, London, 1965, P.137

26 - أنظر: عاشور، سعيد عبد الفتاح: تأريخ أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص28.

27 - أنظر: ولز، ه.ج، معالم تاريخ، الإنسانية- المجلد الثالث- في المسيحية، والإسلام والعصور الوسطى وعصر النهضة، المصدر السابق، ص34.

28 - زيادة في التفصيل أنظر: Lombardi: Edict of Milano to the Human dignity- Persecutions-Secularism-Religious freedom, Roma, 1991.

- أنظر كذلك: Marina, The Edict of Milan (2013-313) Basis of freedom of Religion or Belief, Novi Sad, Belgrade, 2013.

29 - كوستي بندلي وآخرون: مدخل إلى العقيدة، المسيحية، ط3، منشورات. النور، بيروت، 1982، ص14.

* - الأقنوم: الأقنوم في اليونانية (هيبوستاسيس)، وهي مكونة من مقطعين: هيبو وتعني تحت، وستاسيس وتعني قائم أو واقف، وبهذا فإن كلمة هيبوستاسيس تعني تحت القائم. ولاهوتياً معناها ما يقوم عليه الجوهر أو ما يقوم فيه الجوهر أو الطبيعة. والأقنوم هو كائن حقيقي له شخصيته الخاصة به، وله إرادة، ولكنه واحد في الجوهر والطبيعة مع الأقنومين الآخرين بدون أنفصال. - أنظر: إبراهيم، سامح حلمي: مائة سؤال وجواب في العقيدة المسيحية الأرثوذكسية، دار نوبار للطباعة، القهرة، 2004، ص12.

30 - زيادة في التفصيل أنظر: المصدر نفسه، ص13-14.

كان حكم قسطنطين يُعد نقطةَ تحوّلٍ في تاريخ المسيحية؛ إذ قد مهد لصعودها سياسيا وفتح لأبنائها عصراً جديداً كان بمثابة اللحظات الثمينة في تأريخ الكنيسة؛ إذ حقق فيه الآباء التوازن بين التراث القديم الذي ورثوه عن عصر الآباء الرسوليين والمدافعين، وبين الإلهام الروحي والمعرفي الذي بلغ أوجه في إبداعاتهم وكتاباتهم (31). وتأسيساً على ذلك فقد كان لآباء هذا العصر دورٌ مزدوجٌ: عقائدي- سياسي؛ فمن الناحية العقائدية كان عليهم أن يدفعوا بعيداً كل الجدليات العقائدية التي تتقاطع مع قانون الإيمان؛ أما من الناحية السياسية كان عليهم أن يؤسسوا، نظرياً، لأفكار سياسية من وجهة نظر لاهوتية تُعبّرُ عن مسؤولية العقيدة المسيحية في الشأن السياسي.

وأما آباء هذا العصر فهم[32]:

1- **الآبـــاء الغربيـــون:** القديس هيلاري(315-366م)، القديس أمبروز(339-397م)، القديس جيروم(349-420م)، القديس أوغسطين(354-430م)؛

2- **الآبـــاء الشـــرقيون:** القديس اثناسيوس الرسولي (296-373م)، القديس كيرلس الإسكندري (376-444م)، القديس باسليوس (329-379م)، القديس غريغوريوس النزيانزي (329-390م)، القديس غريغوريوس النيسي (335-394م)، ديديموس الضرير (310-398م)، القديس إبيفانوس (315-403م)، القديس أنطونيوس الكبير (250-356م)، القديس باخوميوس (292-348م)، القديس مقاريوس (300-390م)، القديس مقاريوس الإسكندري (306-404م)، القديس كيرلس الأورشليمي(313-386م)، القديس يوحنا الذهبي الفم (354-407م)، مارافرام السرياني (306-373م)، أفراهات(+367م).

ث- عصر كتابات الآباء المتأخرون: يمثل هذا العصر الإمتداد الطبيعي لعصر الآباء الذهبي، في بعديه العقائدي والسياسي، ونافذةً تُفتح على الفكر السياسي الديني في العصر الوسيط[33].

ولما كان للقديس أوغسطين دوره البارز والمركزي في نشأة الفكر السياسي المسيحي في العصر الوسيط؛ لذا ننتقل بالبحث إلى دراسة حياته ونشأته لبيان ذلك الدور.

ثالثاً- القديس أوغسطين

ولد القديس أوغسطين في (13/ 11/ عام 354م) في مدينة (تاغست) (سوق أخرس في الجزائر حالياً) والتي كانت مدينة تابعة لإحدى المقاطعات الرومانية(نوميديا) في شمال أفريقيا. ينتمي القديس أوغسطين إلى عائلةٍ أمازيغية، أمه (مونكا) أمازيغية مسيحية مؤمنة، في حين كان أبوه (باتريسيوس) وثنياً-عمد وهو على فراش الموت عام (371م) - أفريقيّ الأصل روماني اللغة والثقافة والقلب[34].

للقديس أوغسطين شخصيةٌ مركزية في المسيحية وفي تاريخ الفكر السياسي الغربي في آنٍ واحد، وتظهر أهميتُه الفكرية من حيث وجودهِ في قمة هرم عصر الآباء الذهبي بما حمله آباء هذا العصر من دور فكري مزدوج (عقائدي – سياسي) أورثوه للفكر السياسي الديني الغربي. كما وتكمن أهميتُه، من ناحية ثانية، في طبيعة نشأته العلمية التي توزعت ما بين مصدر فلسفي ومصدر لاهوتي، والتي انعكست، من ثَمَّ، على بنائه الفكري-السياسي، ولعل ما يكشف ذلك للباحث هو السير في البحث في حياة القديس أوغسطين.

وعلى الرغم من نشأته-أوسطين- المسيحية التي أنشأته أمه عليها؛ إلا أنه قد ترك الكنيسة واتبع المانوية[*]؛ غير أن دعوات أمه وصلواتها لأجله استمرت دون يأسٍ منها حتى لقب (بابن

31 - أنظر: المقاري، باسيليوس: دراسات في آباء الكنيسة، دار مجلة مرقس، القاهرة، بلا تاريخ، ص248.
32 - أنظر: فلتس، جوزيف موريس وجورج عوض: مدخل إلى الآباء-باترولوجيا، المصدر السابق، ص17.
33 - أنظر: المقاري، باسيليوس: دراسات في آباء الكنيسة، ص23-24.
34 - أنظر: المخلصي، منصور: أوغسطينوس الافريقي، المكتبة الوطنية، بغداد، 1994، ص13.
* - المانوية: تعود المانوية إلى مؤسسها(ماني) الذي ولد في بابل عام(215م) من أصل فارسي مجوسي الديانة، حاول (ماني) إقامة صلة بين ديانته والديانة المسيحية والبوذية والزرادشتية. والمانوية من العقائد الثانوية التي تقوم على معتقد أن

الـدموع) كنايـةً عـن الـدموع التـي كانـت أمّـهُ تـذرفها فـي صـلواتها رغبـة منهـا فـي عودتـه إلـى المسيحية.

بعـد شـروعهِ فـي الدراسـة هنـاك، أرسـلته عائلتُـهُ فـي سـن الحاديـة عشـرة إلـى مدينـة جنـوب (تاغسـت) تُعـرف بمدينـة (مـادورا) ليـتعلم المنطـق والخطابـة وسـائر العلـوم والفنـون، ثـم أنتقـل فـي سـن السـابعة عشـرة إلـى مدينـة (قرطاجـة) ليـدرسَ الحقـوق؛ وقـد عمـل فـي التـدريس فـي (تاغسـت) و(قرطاجـة)، ثـم انتقـل مـن بعـد ذلـك فـي عـام (383م) إلـى رومـا، وقـام أصـدقاؤه مـن المـانويين بتقديمـه إلـى حـاكم رومـا الـذي كـان يبحـث عـن أسـتاذ لعلـم البلاغـة فـي جامعـة ميلانـو، وتـم تعيينـه أسـتاذاً فـي الجامعـة فـي أواخـر عـام (384م). وفـي ميلانـو بـدأ التحـول الفكـري عنـد القـديس أوغسـطين؛ ذلـك بعـد بحثـهِ عـن معنـى الحيـاة وبحثـه عـن تفسـير الشـر [35]. وأخـذت بحوثـه هـذه تبعـده تـدريجياً عـن المانويـة، وقـد تـزامن ذلـك مـع توجـه أمـه إليـه محاولـةً إقناعـه بالمسـيحية؛ غيـر أن لقائـه بالقـديس أمبـروز (أسـقف ميلانـو) يمثـل حجـر الزاويـة فـي تحولـه الفكـري، وتركـه للمانويـة؛ إذ كـان لـذلك اللقـاء الأثـرُ البـالغ، لمـا قدمتـه مـواعظُ أمبـروز وتفسـيراته للكتـاب المقـدس مـن أجوبـة لأسـئلة متعـددة كانـت تجـول فـي ذهـن القـديس أوغسـطين، حتـى وجـد ضـالته فـي الإيمـان المسـيحي [36].

وعلـى الـرغم مـن ذلـك، وعلـى الـرغم مـن تـأثّرِهِ البـالغ بالقـديس أمبـروز، وإعجابـه بشخصـيته وقـوة بلاغتـه، وتـأثره بمواعظـه؛ إلا أنـه لـم يعتنـق المسـيحية بشـكل مباشـر، وإنمـا جـرب عـدة مـذاهب كـان من أكثرها قرباً إليه الأفلاطونية المحدثة.

وبعـد تلـك الجولـة الفكريـة بـين المـذاهب الفلسـفية أعتنـق أوغسـطين المسـيحية، ذلـك بعـد قراءتـه لسـيرة القـديس أنطونيـوس الكبيـر وتـأثره بهـا، ولعلـه أدرك، بعـد قراءتهـا، أن السـعادة، التـي هـي مطلـب كـل إنسـان، لابـدَّ أن يتـوفر فـي موضـوعها الـذي يُحقّقهـا شـرطان: الثبـات، والكمـال، ولعلـه أدرك أن هـذين الشـرطين لا يتـوافران إلا فـي الله؛ لـذا فسـعي الإنسـان إلـى السـعادة مـا هـو إلا سـعي نحو الله [37].

دخـل سـلك الكهنـوت (التعلـيم الـديني)، وقـام القـديس أمبـروز فـي عـام (388م) بتعميـده وتعميـد أبنـه غيـر الشـرعي الـذي أنجبـه مـن علاقتـه مـع خليلتـه القرطاجيـة إبـان ذهابـه إلـى قرطاجـة؛ وبعـد عودتـه إلـى (تاغسـت) حـول منزلـه إلـى ديـر، ثـم توجـه إلـى هيبـون (مدينـة عنابـة الجزائريـة حاليـاً) وصـار كاهنـا فيهـا، ثـم تـم تعيينـه أسـقفاً مسـاعداً فـي هيبـون، وفـي عـام(397م) صـار أسـقفها حتـى وفاتـه فـي (29/ آب/ عـام 430م). أمضـى الجـزء الأول مـن أسـقفيته فـي محاربـة المانويـة التـي كـان معتنقـاً لهـا فـي البـدء، ليتحـوّل بعـدها إلـى محاربـةِ حـزب الـدوناتيين [*]، أمـا الجـزء الأخيـر مـن أسقفيته والذي أستمر حتى وفاتِه فقد أمضاه في محاربة البيلاجية [38].

العالم مركب من أصلين قديمين أحدهما النور والآخر الظلمة. ومنهما يكون الخير والشر اللذان هما عند ماني: الخير أمير النور، والشر أمير الشيطان أو الشرير. أنظر: ويلتر، ج: الهرطقة في المسيحية – تاريخ البدع، والفرق الدينية. المسيحية، ترجمة: جمال سالم، دار التنوير للطباعة. والنشر والتوبع، ط2، بيروت، 2010، ص59-61.

35 - جوزيف كميل جبارة: قاموس أعلام الفكر الديني المسيحي، مكتبة البولسية، بيروت، 2010، ج1، ص128.

36 - أنظر: المصدر نفسه، ص128.

37 - أنظر: كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ص29.

* - الدوناتية (Donatism): حركة دينية مسيحية، ظهرت في شمال أفريقيا الرومانية، وعرفت بهذا الاسم كناية عن زعيمها (دونات الكبير). شكلت الدوناتية انشقاقا عن الكنيسة دام طوال القرن الرابع الميلادي، إذ أعلن (دونات) رفضه الاعتراف بكهانة أي أسقف طالما كان راضخاً لسلطة الإمبراطور. تمركز هذا الانشقاق في نوميدية وانتشر في الريف خاصة. استنكرته عدة مجامع كنسية وأجهز عليه المؤتمر المنعقد في قرطاجة في عام (411م) بإدارة القديس أوغسطين. أنظر: صبحي حموي: معجم الإيمان المسيحي، دار المشرق، ط2، بيروت، 1998، ص217.

38 - أنظر: جبارة، جوزيف كميل: قاموس أعلام الفكر الديني المسيحي، ج1، المصدر السابق، ص129.

-البيلاجية Pelaginsim: جاءت التسمية نسبة إلى بيلاجيوس(360-420م)، والبيلاجية مذهب يقلل من دور النعمة الإلهية، ويشيد بأولية الفعل الإرادي وفعاليته في ممارسة الفضيلة، فأعتقد أن هذه الفضيلة هي في إمكان الإنسان، إذ يكفي أن يهب

توماس ألاكويني: ولد توماس أكويناس في قرية اكوينو الواقعة بين روما ومونت كاسينو في سنة 1224 في أسرة كريمة، وتلقى تعليمه الأول في دير سانت كاسينو ثم تمم دراسته بعد ذلك في مدرسة نابولي.

ورغم عدم رغبة أسرته انضم في عام 1243 إلى صفوف الدومنيكان[39] الذين أرسلوه للعمل تحت رئاسة ألبرت اوف كولون الذي كان واحد من كبار الأساتذة في كولون، وقد قضى مع هذا الأستاذ عده سنوات في كولون وباريس وفي عام 1257 حصل على درجه الدكتوراة.[40]

وفي عام 1252 طلبوه ليكون معلمًا في باريس، ومن ذلك التاريخ راح يدرس ويكتب إلى أن توفي في عام 1274 وكان يومها في طريقه لحضور المجمع العام في مدينة ليون وقد عاش الاكويني حياة التقوى والورع في ظل النظام الدومنيكاني، كما أنه ساهم مساهمة نافعة في نشر المعرفة والتعاليم الدينية في عصر عنت فيه المعارف وكان متأثرا بآراء أرسطو وأفكاره في علم المنطق، تلك الأفكار وهي في القرن 12 م. كانت مدخله إلى دراسة الكتاب المقدس.

وكسائر أتباع النظام الدومنيكاني لم يعترف الاكويني بعقيدة الحبل بالعذراء بلا دنس التي كانت من أهم العقائد في الأيمان الكاثوليكي وفي الجدل العقائدي الذي ثار بين الكنيستين الشرقية والغربية لعب هذا العالم الجليل دور كبيرًا.

وتعد موسوعته من اهم الموسوعات اللاهوتية الكبيرة التي قسم فيها أبحاثه إلى أقسام ثلاثة الأول خصصه للإلهيات والثاني يدور البحث فيه حول الإنسان والثالث كان موضوعه هو شخص السيد المسيح كإنسان وإله معًا.

ففي القسم الأول يتعرض الكلام عن: وجود الله، طبيعته. واعتقد بان الله هو المحرك الأعظم أو ألعله الأولى لجميع الأشياء، فهو البداية والنهاية والمنتهي لكل شيء في الوجود.

وفي القسم الثاني، تحدث عن الإنسان كمخلوق ساقط، لكنه رغم كل هذا في وسعه أن يتمتع بالفداء، بعد ذلك يتطرق لبحث السلوك الإنساني بفضائله ورذائله، ثم يدرس موضوع الناموس والنعمة، بينما تحدث في القسم الثالث عن المسيح الفادي الذي فتح للإنسان طريق العودة إلى الله وقد استخدم الاكويني اتساع معرفته بالكتب المقدسة في إثبات صحة العقائد الكنسية كما كتب شرحًا لبشائر الإنجيل ورسائل بولس الرسول استند فيه إلى أقوال أباء الكنيسة. وفي عام 1323 قرر البابا يوحنا 22 التصريح بتداول مؤلفات الاكويني.[41]

أبرز المفكرين المسيحيين في العصور الوسطى:

القديس أنسلم: وهوفيلسوف ولاهوتي ولد في 1033م وتوفي 1109م في إيطاليا يعدمن أشهر رجال الدين في القرن الحادي عشر م، ودليله على وجود الؤي ما زال يجذب الكثير من الفلاسفة حتى أيامنا هذه اذ درس في فرنسا واشتهر هناك حتى جمع الشباب حوله من أنحاء فرنسا وانكلترا، وصار الدير الذي يدرس فيه معهدا وفي العام 1093م عُين رئيسا لأساقفة كنتربري، وشغل هذا المنصب حتى وفاته [42]. وكان مهتماً بمسالة اثبات وجود الله بالعقل، اذ كانت التوجه الفكري للمجتمع في زمانه ينقسم الى فكرتين الاولى يسمون انفسهم الديالكتيون الذين أرادوا ان تخضع العقيدة للعقل في التحكيم، والثاني هم اللاهوتيون الذين أنكرو الكثير من

الله حرية الاختيار وشريعة الأخلاق، وأن دور النعمة لا يفوق دور المساعد، لأن الحرية لم تعان من خطيئة آدم التي هي مجرد قدوة سيئة. – أنظر: اليسوعي، صبحي حموي: معجم الإيمان المسيحي، المصدر السابق، ص127.
- أنظر كذلك: ويلتر، ج: الهرطقة. فالمسيحية – تاريخ البدع والفرق الدينية المسيحية، المصدر السابق، ص99-101.

[39] (وهي نشأت حركة رهبانية مسيحية نشأت في القرن الثالث عشر الميلادي عندما أصدر بابا روما براءة بتسميتها عام 1217 على يد القديس عبد الاحد دومينيكوس والذي اراد ان تكون حركته رسولية تبشيرية تعلن نفسها وخدماتها في العالم كله وفي أشهر مناطقه استراتيجية واهمية[39]https://sayyaraljamil.com/wp/2007/12/17/1305.htmlf)

[40] https://st-takla.org/Coptic-History/CopticHistory_05-Western-Church-_History/Church-of-West__39-Moslehoon-03-Thomas-El-Ekweeny.html

[41] المصدر نفسه.

[42] تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، يوسف كرم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م: 79.

الافكار التي تعتمد على العقل كما أنكروا فكرة اليوم الآخر وغيرها من الأفكار التي ترتبط بالعقيدة من حيث هي عقيدة لا تقبل البرهنة العقلية [43].اذ قامت حركة رافضة للفلسفة بشكل عام، فخط القديس أنسلم طريقا وسطا بين الطرفين، مخطئا الاثنين معا في رايه، فهو يرى بان الديالكتيون مخطئون لأنهم بدأوا أولا بالعقل ثم الإيمان، وهو قاصر عن أن يؤدي لوحده إلى الإيمان، ومن جانب آخر خطّأ رجال اللاهوت لأنهم ينصرفون عن تعقل مضمون الإيمان، والواقع أنه لابد من الإيمان لكي يتعقل مضمون هذا الإيمان، فهو يأخذ على الديالكتيين ادعاءهم وعلى اللاهوتيين إهمالهم، ونرى بهذا أن أنسلم قد أرجع العقل بكل محاكماته وأحكامه إلى الإيمان. كتب انسلم أهم كتبه وهو في دير لوبك، ومن أعماله كتاب "حديث النفس" يتحدث فيه عن ماهية الله. ثم كتاب "فقال فيما بعد" وفيه يتحدث عن وجود الله، ثم كتب أربع محاورات تتحدث عن موضوعات مختلفة مثل الحقيقة، الإرادة الحرة، سقوط الشيطان، تجسد الكلمة وكتب أخرى كثيرة منها كتاب المناجاة ومتاب العظة. [44]

إن منهج أنسلم "تعقل الإيمان" "أؤمن كي تعقل" على مثال أوغسطينوس. فالإيمان يولد في النفس المحبة، والمحبة تدفع بالنفس إلى استعجال الرؤية الاجلة بالاستدلال. فالإيمان شرط التعقل "أؤمن كي تعقل" فالذي لا يؤمن لا يشعر بموضوع الإيمان، والذي لا يشعر لا يفهم، فالشعور بالشيء يفوق مجرد السمع عنه؛ وبالتالي فالعقل بحاجة إلى الإيمان لكي يهديه وينير له الطريق ويدفعه من الداخل إلى الحق والحقيقة، والإيمان بحاجة إلى العقل لكي يفسر ما هو غامض ويبرهن على صحة ما جاء في الكتب المقدسة. [45]

مايستر ما كهارت: ولد في مدينة هوخ هايم في المانيا كان فيلسوف وعالم لاهوت تولد 1260م وتوفي 1327م صوفي درس في احد المدارس الدينية وتخرج وحصل على رتبة للعمل في الكنيسة ، وعمل في فرنسا كأستاذ للاهوت، أثارت أفكاره بعض رجال الدين من الطائفة الارثوذكسية الرافضين لكل جديد مما أدى ذلك لاتهامه بالهرطقة، كما ان فكره كان مشابها أحيانا لفكر جماعة أخوية الروح الحرة والتي كانت الكنيسة تحاربها بشدة، كتب دفاعا عن نفسه وحفاظاً على حياته مما دعاه الإعلان تراجعه عن كتاباته التي ترفضها الكنيسة، وقبل ان يصدر الحكم بحقه توفى لتقوم الكنيسة الحكم بتحريم عدة اقوال له والتحفظ على بعض اخر مع اعتباره انه توفى مسيحيا طاهرا لأنه كان اعلن انه سيسحب أي أقوال ترفضها الكنيسة. وبالرغم من رفض الكنيسة له إلا أن تلامذته لقبونه بالمعلم المقدس وظلوا يحترمونه، كان له عدة اتباع مثل تاولر وسوزو وزويسبرويك وغيرهم ممن عرفوا بباطنى الراينلاند او (اصدقاء الله). ظل ايكهارت أحد اهم رموز الاصلاح إلى لوثر. ولكن شهرته خفتت بعد ذلك وظل منسيا الا ان تم احيا فكره الافلاطونى الجديد وتم نشر بحوثه باللغة اللاتينية والالمانية ظل ايكهارت أحد اهم رموز الاصلاح إلى لوثر. ولكن شهرته خفتت بعد ذلك وظل منسيا الا ان احيا الثيوصوفى فرانز بفايفر فكره الافلاطونى الجديد وقام بنشر مقاطع كثيرة له باللاتينية والالمانية.

يعد فكر إكهارت فكرا افلاطونياً اذ كان يرى أن الإله الأعلى من المستحيل ادراكه بالعقل والحواس، لأنه لا يدخل في عالم الحواس أو الكثرة. فهو الواحد فقط، ليس الها "شخصيا" أي

---

[43] :فلسفة العصور الوسطى، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات ـ الكويت، دار القلم ـ بيروت ـ لبنان، ط3، 1979م: 66.

[44] : المصدر نفسه ص 68،

[45] https://abouna.org/content/21-%D9%86%D9%8A%D8%B3%D8%A7%D9%86-_%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D9%8A%D8%B3-%D8%A3%D9%86%D8%B3%D9%84%D9%85%D8%8C-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D9%82%D9%81-%D9%88%D9%85%D8%B9%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%86%D9%8A%D8%B3%D8%A9

أنـه لا يفكـر أو يشـعر أو يـتكلم، انـه نـوع مـن "النـور الصـافي" فـالله يفكـر ويحـب ويكـره ويعـرف البشر، الله هو الأب والبشر ابنائه،

ولا يـرى ايكهـارت خلـق العـالم كفعـل كـاى فعـل، الله يـاتى، يقـول للكـون كـن فيكـون، ثـم يـذهب الله لفعـل أي شـيء والكـون يظـل موجـودا، فايكهـارت يـرى ان الله لابـد ان يبقـى بـالكون ليظـل الكـون موجـودا، أي انـه إذا مـا خـرج الله مـن جـوهر أي شـيء، لعـاد هـذا الشـيء للاشـيء الـذي كأنـه قبـل ان يكون ومن هنا يقول ايكهارت :46.

كتـب إيكهـارت أربعـة أعمـال باللغـة الألمانيـة يطلـق عليهـا عـادة "أطروحـات". وفـي سـن الأربعـين تقريبًـا كتـب أحاديـث تعليميـة، عـن إنكـار الـذات، ونبـل الإرادة والفكـر، وطاعـة الله. وفـي نفس الفتـرة، واجـه الفرنسيسـكان فـي بعـض المناقشـات الشـهيرة حـول القضـايا اللاهوتيـة. وفـي عـام 1303 أصـبح إقليميًـا (زعيمًـا) للـدومينيكان فـي ساكسـونيا، وبعـد ذلـك بـثلاث سـنوات أصـبح نائبًـا فـي بوهيميـا. وكـان نشـاطه الرئيسـي، وخاصـة منـذ عـام 1314، هـو الـوعظ للراهبـات المتـأملات اللـواتي تـم47 تـأثير الفكـر المسـيحي فـي العصـور الوسـطى كـان للفكـر المسـيحي فـي العصـور الوسـطى تـأثير كبيـر علـى الفلسـفة واللاهـوت الغـربيين. كمـا أثـر علـى الفـن والأدب والعمـارة فـي تلك الفترة

الخاتمة:

ظهـرت المسـيحية كمرحلـة سياسـية دينيـة لهـا نظامهـا المسـتقل عـن الدولـة. وكانـت هـي المسـؤولة عـن النـواحي الروحيـة. وتسـعى لتخلـيص الانسـان مـن الخطيئـة وكانـت تنظـر للدولـة كمؤسسـة مسـتقلة تشـهد سـلطتها مـن الله ممـا يسـتوجب خضـوع الكنيسـة لسـلطتها، تنـاول البحـث نشـأة الفكـر السياسـي الـديني فـي العصـر الوسـيط وصـولاً الـى عصـر الإبـاء ودورهـم فـي وضـع الأسـس اللاهوتيـة التـي قـام عليهـا الفكـر السياسـي الـديني ومـن ثـم بيـان الـدور المركـزي الـذي تمتـع بـه القـديس أوغسـطين فـي عصـر الإبـاء ، وقـد تناولنـا فـي البحـث تكـوّن الفكـر السياسـي الـديني فـي العصـر الوسـيط مـن حيـث العوامـل التـي كونـت ذلـك الفكـر، بمعنـى البحـث فـي المكونـات الفكريـة التـي اجتمعـت فـي صـياغة المنـتظم – الفكـري، وقـد تناولنـا ايضـاً نمـط التفكيـر الفلسـفي- السياسـي الأوغسـطيني ذو المرجعيـة اللاهوتيـة ، أي بمعنـى ان البحـث فـي الكنيسـة التـي يعـالج بهـا القـديس أوغسطين لاهوتياً الإشكالات الفلسفية ذات الصلة السياسية...

ان دراسـة الفكـر المسـيحي فـي حقبـة العصـر الوسـيط يـدفع الباحـث الـى مراجعـة الموضـوع ضـمن سـياقة التـاريخي مـع ان التـاريخ هنـا لا ينظـر اليـه مـن زاويـة تسلسـل الاحـداث أي لا ينظـر اليـه بمنهج المتتبع التاريخي نشأة الفكر الديني المسيحي في العصر الوسيط.

وقد

اختتم البحث بجملة من الاستنتاجات في هذا السياق ... ومن الله التوفيق

الاستنتاجات:

[46] https://www.marefa.org/%D9%85%D8%A7%D9%8A%D8%B3%D8%AA%D8%B1_%D8%A5%D9%83%D9%87%D8%A7%D8%B1%D8%AA

[47]. https://www.britannica.com/biography/Meister-Eckhart

1. نشأ الفكر المسيحي في العصور الوسطى بتفاعل الدين مع الواقع السياسي والاجتماعي، حيث فرضت الكنيسة سيطرتها وشكلت الثقافة الغربية.
2. لمواجهة المجتمع الوثني، دمج الكهنة الفلسفة بالدين، مما ساعد في نشر المسيحية رغم الاضطهادات.
3. تطور الفكر السياسي المسيحي نتيجة حاجة الكنيسة لتنظيم علاقتها بالسلطة، خاصة بعد تبني الإمبراطورية له.
4. ساعد اللاهوت المسيحي على فهم السياسة والمجتمع، وأسس لبناء الفكر السياسي الغربي.
5. كان لآباء الكنيسة دور أساسي في ترسيخ العقيدة، وتصنيفهم تم وفق اللغة والعصر التاريخي.
6. اضطهاد المسيحيين ساهم — بشكل متناقض — في انتشار الدين، ثم جاء مرسوم ميلانو ليُقرّ الحرية الدينية، مما ساعد على ترسيخ المسيحية كأساس ديني رسمي
7. مجمع نيقية وحد العقيدة وأسس لاهوت المسيحية الرسمية.
8. مع مرور الزمن، أصبحت الكنيسة قوة سياسية واجتماعية فاعلة، خصوصاً بعد عهد قسطنطين.
9. برز آباء كنيسة مثل أوغسطين والأكويني وأنسلم، الذين دمجوا بين الفلسفة واللاهوت، مؤسسين منهجيات عقلانية وصوفية أثرت على الفكر الغربي.
10. الجدل العقائدي بين الشرق والغرب أغنى الفكر المسيحي، وأثرى مجالات متعددة كالفن والأدب والعمارة.
11. الفكر المسيحي الوسيط أثّر بعمق ليس فقط في اللاهوت والفلسفة، بل أيضاً في الفن والأدب والعمارة الأوروبية.

المصادر

1. **الكتاب المقدس: إنجيل يوحنا (18: 36).**
2. **تارناس، ريتشارد (2010): آلام العقل الغربي، ترجمة: فاضل جتكر، العبيكان وكلمة، أبو ظبي، ص129.**
3. **جبارة، جوزيف كميل (2010): قاموس أعلام الفكر الديني المسيحي، ج1.**
4. **عبد الرحمن بدوي (1979): فلسفة العصور الوسطى وكالة المطبوعات ـ الكويت، دار القلم ـ بيروت ـ لبنان، ط3،: 66.**
5. **عبد الحميد، رأفت (1997): بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ص11.**
6. **علي عباس مراد وعامر حسن فياض (2004): مدخل إلى الفكر السياسي القديم والوسيط، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ص350.**
7. **كوستي بندلي وآخرون (1982): مدخل إلى العقيدة، المسيحية، ط3، منشورات. النور، بيروت، ص14.**
8. **المخلصي، منصور (1994،): أوغسطينوس الافريقي، المكتبة الوطنية، بغداد، ص13.**
9. **المقاري، باسيليوس (1977): دراسات في آباء الكنيسة، المكتبة المصرية، ص23-24.**
10. **يوسف كرم تاريخ (2012): الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 79.**
11. **https://www.marefa.org/%D9%85%D8%A7%D9%8A%D8%B3%D.118%AA%D8%B1_%D8%A5%D9%83%D9%87%D8%A7%D8%B1%D8%AA**
12. **https://www.britannica.com/biography/Meister-Eckhart**

13. https://abouna.org/content/21-%D9%86%D9%8A%D8%B3%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D9%8A%D8%B3-%D8%A3%D9%86%D8%B3%D9%84%D9%85%D8%8C-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D9%82%D9%81-%D9%88%D9%85%D8%B9%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%86%D9%8A%D8%B3%D8%A9

14. https://st-takla.org/Coptic-History/CopticHistory_05-Western-Church-History/Church-of-West__39-Moslehoon-03-Thomas-El-Ekweeny.html